

التأثيرات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية بين الأندلس وإسبانيا في عهد الإمارة الأموية في الأندلس (138-316هـ)

The social, economic and cultural influences between Andalusia and Spain during the era of the Umayyad emirate in Andalusia (138-316 AH)

جامعة بابل/ العراق	تاريخ إسلامي	علي عبيس حسين علي المعموري* Ali Obayes Hussain sdgtgjh@gmail.com
جامعة بابل/ العراق	تاريخ إسلامي	عقيل محمد صالح عبد الحسن Aqil Muhammad Salih Abdul-Hassan akeelm469@gmail.com

الإرسال: 2023/03/29 القبول: 2023/04/14 النشر: 2023/05/10

ملخص:

فتح المسلمون بلاد الأندلس عام (92هـ/711م) واستقروا فيها قرابة ثمانية قرون، وقد مر الحكم الإسلامي عبر هذه القرون بفترات مختلفة متميزة، فمن عصر الولاة إلى عصر الإمارة الأموية ثم عصر الخلافة الأموية ثم عصر ملوك الطوائف وعصر المرابطين والموحدين، وكانت سلطة المسلمين هذه تمتد على كافة أراضي شبه الجزيرة باستثناء الأراضي التي بقي الإسبان المسيحيون يسيطرون عليها في أقصى الشمال، وأقاموا عليها ثلاث ممالك إسبانية هي مملكة ليون ومملكة نافار ومملكة قطلونيا، وقد كان لالتقاء حضارتين مختلفتين على أرض الجزيرة الإيبيرية هما الحضارة العربية الإسلامية والحضارة الغربية النصرانية تأثيرات متبادلة، إذ أثر المسلمون في النصارى بمختلف جوانب الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والعلمية وكذلك تأثروا بما امتلكه سكان البلاد المفتوحة من قيم وعادات ومهارات وعلوم، كان نتيجة هذا التزاوج بين الحضارتين أن نشأت حضارة أندلسية مزدهرة أشرقت على جميع أنحاء أوروبا والعالم طوال قرون عدة.

الكلمات المفتاحية: الأندلس؛ إسبانيا؛ التأثيرات؛ الإمارة الأموية.

Abstract:

Muslims conquered Andalusia in the year (92 AH / 711 AD) and settled there for nearly eight centuries. During these centuries, Islamic rule passed through different distinct periods. It extends over all the lands of the peninsula, with the exception of the lands that the Christian Spaniards remained in control of in the far north, and they established three Spanish kingdoms on them: the Kingdom of Leon, the Kingdom of Navarre, and the Kingdom of Catalonia. As Muslims influenced Christians in various aspects of social, economic, cultural and scientific life, as well as they were influenced by what the inhabitants of the conquered countries possessed of values, customs, skills and sciences.

Keywords: Andalusia, Spain, Influences, The Umayyad emirate.

مقدمة:

كانت شبه الجزيرة الإيبيرية خاضعة لحكم الرومان حتى القرن الخامس الميلادي، ثم غزاها البربر الجرمان من الألان والوندال والسويف، ثم استولى عليهم القوط الغربيين والذين تعاملوا مع السكان الأصليين بازدراء وامتهان وجعلوهم أرقاء تابعين لهم، ثم جاء الفتح الإسلامي لبلاد الأندلس عام (92هـ/711م) واستقر المسلمون فيها قرابة ثمانية قرون، وقد مر الحكم الإسلامي عبر هذه القرون بفترات مختلفة متميزة، فمن عصر الولاة إلى عصر الإمارة الأموية ثم عصر الخلافة الأموية ثم عصر ملوك الطوائف وعصر المرابطين والموحدين، وكانت سلطة المسلمين هذه تمتد على كافة أراضي شبه الجزيرة باستثناء الأراضي التي بقي الإسبان المسيحيون يسيطرون عليها في أقصى الشمال، وأقاموا عليها ثلاث ممالك إسبانية هي مملكة ليون ومملكة نافار ومملكة قطلونيا، وقد كان لالتقاء حضارتين مختلفتين على أرض الجزيرة الإيبيرية هما الحضارة العربية الإسلامية والحضارة الغربية النصرانية تأثيرات متبادلة، إذ أثر المسلمون في النصراني بمختلف جوانب الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والعلمية وكذلك تأثروا بما امتلکه سكان البلاد المفتوحة من قيم وعادات ومهارات وعلوم، كان نتيجة هذا التزاوج بين الحضارتين أن نشأت حضارة أندلسية مزدهرة أشرفت على جميع أنحاء أوروبا طوال قرون عدة، ومن هنا كانت أهمية الموضوع بدراسة التأثيرات المتبادلة بين الحضارتين والتي أنتجت هذه الحضارة المزدهرة، وقد تضمنت الدراسة بحثين تناول الأول نشوء الإمارة الأموية في بلاد الأندلس وكذلك دراسة الممالك الإسبانية الشمالية والعلاقة فيما بينهما، أما المبحث الثاني فقد تناول طبيعة التأثيرات المتبادلة في ميدان الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والعلمية، وقد اعتمدت الدراسة على المصادر والمراجع العربية وخاصة الكتب التي تناولت الحياة في بلاد الأندلس وشبه الجزيرة الإيبيرية، واخيراً نسال الله تعالى ان يجعله عملاً خالصاً لوجهه الكريم انه نعم الموفق .

المبحث الأول: نشوء الإمارة الأموية والممالك الإسبانية وعلاقتها في بلاد الأندلس.

أولاً: نشوء الإمارة الأموية:

بعد أن تغلب العباسيون على نظام الحكم في الدولة الإسلامية الذي كان متمثلاً بالخلافة الأموية، وتحقيق العباسيين انتصارات أدت إلى سقوط الخلافة الأموية

سنة (132هـ/749م)، تشتت من تبقى من العائلة الأموية في مختلف البلدان بعد أن أصدرت الخلافة العباسية أمراً بملاحقتهم وقتلهم، وأفلح بعضهم في الهروب (الطبري، 1967، ج 7، ص 408) & (السيوطي، 1964، ص 418) وكان من أبرز الناجين من العائلة الأموية هو عبد الرحمن الداخل، والذي تمكن من الفرار إلى مصر ومنها إلى إفريقيا (النويري، 2002، ج 23، ص 335)، ولكنه وجد أن بقائه في إفريقيا يشكل خطراً عليه وعلى من تبقى معه من العائلة الأموية، بعد أن تغلب عبد الرحمن بن حبيب الفهري على ولاية إفريقيا سنة (126هـ/743م) وأقره آخر خلفاء الدولة الأموية مروان بن محمد عليها، وعندما قُتل الأخير على أيدي العباسيين أعلن الفهري تبعيته للدولة العباسية، ودعا للمنصور العباسي على منابر المغرب، ثم أعلن استقلال ولاية المغرب عن السلطة العباسية نتيجة الخلاف على أموال الخراج بحجة أن إفريقيا أصبحت بلاد إسلامية (ابن عبد الحكم، 1994، ص: 372)، ثم أخذ يلاحق كل من لجأ إلى إفريقيا من البيت الأموي خوفاً من أن يطمحوا إلى السلطة، فتوجه عبد الرحمن الداخل مع بقية أفراد البيت الأموي إلى بلاد الأندلس، مستفيداً من تدهور الأوضاع فيها نتيجة الخلافات بين الولاة فيها على الإنفراد بالسلطة، فاستطاع عبد الرحمن الداخل من انتزاع الأندلس من يد الأطراف المتنازعة كل من يوسف بن عبد الرحمن الفهري، والوالي الصميل بن حاتم، فانحصرت عليهما في معركة حاسمة عرفت بمعركة المسارة عام (138هـ/755م)، انتهت بمقتلها وسيطرة عبد الرحمن الداخل على كامل بلاد الأندلس (ابن القوطية، 1980، ص: 44)، وأورد الذهبي: " وبلغنا أن عبد الرحمن بن معاوية لما توجه إلى يوسف الفهري عدى إلى الجزيرة فنزلها، فاتبعه أهلها، فمضى في عسكر إلى إشبيلية، فأطاعه أهلها، ثم مضى إلى قرطبة فاستولى عليها، فكان كلما قصد مدينة بايعوه، فلما رأى يوسف الفهري العساكر قد أظلمته هرب إلى دار الشرك، فتحصن هناك، فغراه فيما بعد عبد الرحمن الداخل، فوقعت نفرة في عسكره فانهزم، ورجع عبد الرحمن مظفراً منصوراً، وجعل لمن يأتيه برأس يوسف مالاً، فأتاه رجل من خاصة يوسف برأسه". (الذهبي، 1987، ج 11، ص: 240).

دخل عبد الرحمن الأندلس وهو ابن خمس وعشرين سنة أو نحوها، وبويع له بقرطبة يوم الأضحى من سنة 138هـ، ثم أعلن الداخل إمارة أموية في الأندلس ولم يتخذ لقب الخليفة لعدم رغبته في تحد الخلافة العباسية، بالرغم من أنه قطع الدعاء للعباسيين

وأعلن استقلاله، (المراكشي، 1983، ج2، ص48) يذكر أبو الفداء (أبو الفداء، دت، ج2، ص102) إن مدة إمارته خمسين سنة ونصفاً، وعمره ثلاث وسبعون سنة، وكان أبيض أشهل حسن الوجه، وهو أول من تلقب من الأمويين أصحاب الأندلس بألقاب الخلفاء، وتسمى بأمر المؤمنين، وكان من قبله يخاطبون، ويخطب لهم بالأمير وأبناء الخلائف، وبقي عبد الرحمن كذلك إلى أن مضى من إمارته سبع وعشرون سنة، فلما بلغه ضعف الخلفاء بالعراق، وظهور الخلفاء العلويين بإفريقية ومخاطبتهم بأمر المؤمنين أمر حينئذ أن يلقب بالناصر لدين الله، ويخطب له بأمر المؤمنين، وبذلك نرى أن عبد الرحمن لم يحاول أن يتخذ سمة الخلافة قط، رغم كونه سليل الخلافة الأموية، ويرجع ذلك إلى اعتبارات دينية وسياسية، يجملها ابن خلدون في قوله: "إن بني أمية بالأندلس تلقبوا كسلفهم مع ما علموه من أنفسهم من القصور عن ذلك، بالقصور عن ملك الحجاز أصل العرب والملة، والبعد عن دار الخلافة التي هي مركز العصبية، وأنهم إنما منعوا بإمارة القاصية أنفسهم عن مهالك بني العباس." (ابن خلدون، ع، 2006، ج1، ص84)، ويقول لنا في موضع آخر إن عبد الرحمن لم يتخذ سمة الخلافة تادباً منه في حق الخلافة بمقر الإسلام ومنتدى العرب (ابن خلدون، ع، 2006، ج4، ص122)، ويقول المسعودي (المسعودي، 1989م، ج1، ص78) إن الخلافة لم يكن يستحقها عند بني أمية إلا من كان مالكا للحرمين، ولذلك سماوا بالخلائف، حتى بعد أن تسموا بالخلافة ولم يخاطبوا بالخلفاء، وعلى أي حال فإن بواعث السياسة العملية، هي التي حملت عبد الرحمن على سلوك هذا المسلك، والحرص على عدم التورط في رسوم لم يحن الوقت لاتخاذها، والدخول بذلك مع الخلافة العباسية القوية في منافسة لا تؤمن عواقبها.

أما العباسيين فلم يبذلوا جهداً في استعادة الأندلس، بسبب بعد البلاد عن مقر الخلافة، بالإضافة إلى انشغال العباسيين بتوطيد أركان حكمهم في بلاد المشرق الإسلامي (ابن الأبار، 1986، ج1، ص41)، وبذلك تمكن عبد الرحمن الداخل من تأسيس إمارة أموية قوية في بلاد الأندلس بعد أن قضى على جميع الثورات التي ثارت ضده وكانت أبرزها ثورة العلاء بن المغيث الجذامي سنة (146هـ/763م) في مدينة باجة (ابن خلدون، ع، 2006، ج4، ص158)، وثورة عبد الرحمن الصقلي سنة (161هـ/777م) وتمكن الداخل من القضاء عليه (ابن الأثير، ع، 1997م، ج6، ص: 101)، بالإضافة إلى هجمات النورمان (الفايكنج) على

بلاد الأندلس، وتمكن الأمير الأموي من الوقوف بوجهها، حتى أرسى دعائم إمارته القوية على كامل بلاد الأندلس وتأسيس إمارة أموية استمرت بالحكم من عام(138هـ/755م) حتى عام (316هـ/928م).

ثانياً: تأسيس الممالك الإسبانية:

كانت إسبانيا قبل الفتح العربي لها يحكمها الرومان حتى القرن الخامس الميلادي، ثم غزاها البربر الجرمان من الألان والوندال والسويف، ثم قهرهم القوط الغربيين بعد معارك طاحنة واستولوا على إسبانيا في القرن السادس الميلادي، تعامل القوط مع السكان الأصليين معاملة مهينة وجعلوهم أرقاء ولم يختلطوا سوى بعلية القوم من الإسبان والرومان، أما بقية الشعب الإسباني فقد اساءوا اليه إلى الحد الذي جعل المستشرق الفرنسي ليفي بروفنسال يطلق على سنيين الحكم القوطي لإسبانيا ب(السنين العجاف)، لذلك كان سكان إسبانيا حاقدين على الحكم القوطي ومستعدين لقبول أي سلطة تخلصهم من الحكم القوطي، هذا إضافة إلى النزاع المستمر على عرش إسبانيا والذي سبب بنزاع سياسي وفتن داخلية مستمرة، وضعف الوازع الوطني وفقدان الروح العسكرية للدفاع عن إسبانيا كل هذه العوامل سهلت دخول القوات الإسلامية وتحرير إسبانيا من ظلم القوطيين. (أبو عُبيَّة، ط، ع، دت، ص: 92)

لقد وجدت إسبانيا في جغرافيتها وجبالها وقياتها ومأساتها في وقت واحد، فقد منحتها أمناً نسبياً من الغزو الخارجي، ولكنها عوقت تقدمها الاقتصادي ووحدها السياسية وإسهامها في الفكر الأوربي، ولقد عاش في ركن صغير من الشمال الغربي شعب نصف بدوي من الباسك وكانوا ينتقلون بأغنامهم من السهول إلى التلال ثم يهبطون إلى السهول مرة أخرى تبعاً لتقلبات الفصول، ومع أن كثيرين من الباسك كانوا رقيق أرض، إلا أنهم جميعاً زعموا نبل المحتد (ديوران، و، 1958، ج23، ص59)، وانقسمت إسبانيا إلى ثلاثة ممالك هي:

1- مملكة نبره(نافار): تقع نبره على أبواب فرنسا غربي جبال البرنيه، وإلى الشرق من جبال كنتبريه، وهي تفصل بين برشلونه ومملكة قشتالة (القلقشندي، أ، 1987، ج5، ص226)، وأما سكانها فكانوا شعباً شديد المراس، أصولهم تعود إلى الباسقونغادوس، ومنه اشتق أسمهم الحالي الباسك، ويطلق عليهم تسمية

البشكنس، ويزعمون أنهم من أقدم أمم أوروبا (أرسلان، ش، د.ت، ص223)، وكانت لهم لغتهم الخاصة وهي اللغة البشقية أي لغة الباسك (الحميري، أ، 1980، ص104)، كان الباسك يواجهون تهديدات للسيطرة عليهم من جهة الشمال بواسطة الفرنج، ومن جهة الجنوب بواسطة الأمويين، لكنهم تمكنوا من الصمود والاحتفاظ باستقلال أرضهم، ساعدهم في ذلك طبيعة بلادهم الجبلية الوعرة (أرسلان، ش، د.ت، ص224)، ويعتبر مؤسس هذه المملكة هو ونقة بن شانجة ملك البشاكسة (ابن حزم، أ، د.ت، ص 507)، وكانت هذه الإمارة في أول أمرها تخضع إلى سلطة بعض النبلاء التابعين للفرنج أو للأمرء من كانتبرية وأشتوريش، الذين اتخذوا مدينة بنبلونة عاصمة لهم. ولم يستطع أمرء جليقية رغم الغزوات العديدة التي شنوها على هذه الإمارة، أن يضموها إلى مملكتهم وذلك لتفاني البشكنس في الدفاع عن استقلالهم، ومن زعماء هذه الإمارة غرسية أنيجز Garcia Iniguez، الذي يسميه ابن حزم (ابن حزم، د.ت، ص 502) بملك البشاكسة، والذي كان على صلة طيبة ببني قسي المولدين، سادة الثغر الأعلى، فقد ارتبط معهم برباط التحالف والمصاهرة، وحارب مع زعيمهم موسى بن موسى بن فرتون ضد أردونيو الأول، ملك جليقية، في معركة البلدة سنة 248 هـ/862م (عنان، 2007، ج1، ص298)، وخلف غرسيه ابنه فرتون الذي قضى فترة طويلة أسيراً في قرطبة، لكنه عزل عن الحكم بعد أن تغلب شانجة غرسيه الأول على نافار (المراكشي، 1983، ج2، ص97)، والذي يعتبر ابنه ونقة مؤسس مملكة نافار.

تأسست مملكة نافار كرد فعل على رفض الحماية الفرنسية، إذ استغاث سكانها بجيرانهم المسلمين بعد أن حاول الأباطور لويس الكونت أزوار إخضاع ثورة الباسك (أرسلان، ش، د.ت، ص147)، فساعدهم بنو قسي أصحاب تطيلة(Tudela) وذلك بموافقة حكومة قرطبة آنذاك (عنان، 2007، ج1، ص253)، فأحرز المسلمون والباسك نصراً ساحقاً على الفرنج، وبذلك انتظمت أمور مملكة نافار على يد إينيغو أريستا والذي يلقب في المصادر الإسلامية باسم ونقة بن شانجة، وتعتبر أسرة ونقة من أول الأسر التي حكمت مملكة نبرة، وانتقل الحكم بعد وفاة ونقة إلى ولده ونقة بن ونقة الذي ظل أميراً على نبره حتى وفاته عام

(237هـ/852م)، فتولى مكانه ولده غرسيه الذي صاهر موسى بن موسى إذ زوجه ابنته أوربة (القرطبي، إ، 1390 هـ، ص 345)، وقد وقع غرسيه في أسر الفايكنج بعد هجومهم على منطقة سواحل الأندلس، فافتدى نفسه بسبعين ألف دينار وأعطاهم بعض ولده كرهائن، ثم خلفه على العرش ولده فرتون الأنقر وبعد وفاته خلفه أخيه شانجة والذي تحولت نافار في عهده من إمارة إلى مملكة إذ كان أول من تلقب بلقب الملك فيها (المراكشي، 1983، ج 2، ص 146).

2- مملكة ليون (جليقية): نشأت مملكة "ليون" من اتحاد إمارتي كانتبريا "Cantabria" وجليقية في حكومة واحدة، عرفت عند المؤرخين المسلمين باسم (جليقية) وأراضيها تمتد من المحيط الاطلنطي غرباً حتى بلاد البشكنس شرقاً، ومن مضيق بسكاي شمالاً إلى نهر دويرة جنوباً، وعندما استلم الأمير عبد الرحمن الداخل إمارة الأندلس كانت مملكة ليون تشغل ربع مساحة شبه جزيرة إيبيريا تقريباً، وكانت عاصمتها في السابق مدينة أبيب، ولكن بعد أن قويت شوكة هذه المملكة واتسعت حدودها جنوباً، أصبحت مدينة ليون "Leon" عاصمتها الجديدة (الخلف، س، 2003م، ص 250)، يعتبر الفونسو المؤسس الحقيقي للملكة، والذي استطاع توحيد النصارى والحفاظ على ما بأيديهم من أراضي ضد هجمات العرب المسلمين، بل إنه شن الحملات على الأراضي الإسلامية وحقق العديد من الانتصارات، وفي عهد الفونسو الثاني شهدت المملكة نهضة شاملة إذ أعاد تنظيم الأوضاع الداخلية ونقل العاصمة إلى أوفيدو وشيد فيها القصور والكنائس والحمامات العامة على الطريقة الإسلامية، وفي عهد الفونسو الثالث (251-298هـ/866-910م) الذي شن حملات متتالية على ثغور المسلمين حتى وصل إلى نهر التاجة وبنى مدينة سمورة وأسكن فيها النصارى لتصبح مركز تهديد لقلب الدولة الإسلامية (عبد الحليم، ر، م، 1985م، ص: 193)

1- مملكة قطلونية (برشلونة): وهي مدينة للروم بينها وبين طركونة خمسون ميلاً، وبرشلونة على البحر ومرساها ترش لا تدخله المراكب إلا عن معرفة، ولها ربض وعليها سور منيع، والدخول إليها والخروج عنها إلى الأندلس على باب الجبل المسى بهيكل الزهرة ويسكن برشلونة ملك إفرنجه وهي دار ملكهم وله مراكب

تسافر وتغزو، وللافرنج شوكة لا تطاق، وبرشلونة كثيرة الحنطة والحبوب والعسل واليهود بها يعدلون النصارى كثرة وربضها خارج عنها، وهي في القسم الثالث من الأندلس وهي ذات سور كبير. (الحميري، أ، 1980، ص 87)

افتتح المسلمون قطلونية زمن موسى بن نصير الذي وصل في غزواته إلى جنوب فرنسا، فغزى برشلونة في الشرق وأربونة في الجوف (ابن خلدون، ع، 2006، ج4، ص 150)، وفي الفترات اللاحقة ضعف نفوذ المسلمين فيها، إذ دب الوهن في صفوف المسلمين بسبب الثورات الداخلية المستمرة، إضافة إلى رغبة سكانها في الاستقلال والخروج على السلطات الحاكمة (أرسلان، ش، د.ت، ص115)، وبالرغم من محاولة عبد الرحمن الداخل السيطرة على هذه المدينة وصد هجمات الفرنجة عليها إلا أن جيشه الذي جهزه عام (140هـ/58م) تعرض لهجوم القبائل النصرانية في شعاب البرنية فخرس المعركة وعادت فلولة إلى قرطبة (مؤنس، ح، 1959م، ص 290)، وبدأت حامية المدينة تنهار تدريجياً الأمر الذي شجع النصارى داخل المدينة على التمرد وفتح أبواب المدينة للقوات الفرنجية المهاجمة عام (141هـ/759م) مقابل أن يستقلوا بأمورهم الداخلية، وبذلك سقطت آخر المعاقل الإسلامية في أرض الفرنجة وانهارت معها سيادة الإسلام فيما وراء البرنية. (المسعودي، 1989م، ج1، ص167)

ثالثاً: العلاقة بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية:

كان الفتح العربي الإسلامي لإسبانيا فتحاً حضارياً امتزجت فيه التأثيرات الحضارية القديمة لإسبانيا كالرومانية والقوطية مع التأثيرات الحضارية الإسلامية لتمتج وتخرج حضارة أندلسية مزدهرة أنارت أوروبا لسنوات طويلة، إذ إن هذه الحضارة نشأت من تواصل وتعايش ما بين العرب الفاتحين وسكان إسبانيا أهل البلاد وشاركت فيه كلا الحضارتين. (مونتغمري، و، 1983، ص177)

ولابد من الإشارة إلى أن الخلافة الأموية في بلاد الأندلس قدمت ما هو عربي على ما هو إسلامي، لذلك كانت حضارة العرب في الأندلس حضارة عربية أكثر مما هي حضارة إسلامية وبقيت صفة العنصر العربي هي الصفة المميزة لعرب الأندلس، إذ تمسكوا بمفاهيم الأنساب العربية والشعر العربي والنحو وكذلك اعتماد المذهب المالكي كمذهب رسمي في

البلاد على اعتبار أن هذا المذهب كان المذهب العربي الأكثر أصالة (العبادي، أ، م، 1994، ص121)، وكان للعرب الأثر البارز على الحضارة الأندلسية، فقد اختلط الفاتحون بالشعب الإسباني السكان الأصليين اختلاطاً كبيراً، وصل إلى حد المصاهرة والتزاوج، إذ تزوج العرب وحتى أمراءهم بالإسبانيات، وتغلغلت ثقافة العرب وآدابهم بالشعب الإسباني واختلط الدم العربي بالدم الإسباني اختلاطاً واضح الأثر، واعتنق نصف الإسبان الدين الإسلامي، وسادت اللغة العربية فكانت لغة النبلاء والناهيين في إسبانيا، ولبس الإسبان المسلمين منهم والنصارى الزي العربي واقتباس العادات العربية وطرق الحياة، والثقافة العربية حتى نبغ الكثير من الإسبان المسيحيين في الأدب العربي والشعر والنثر (باشا، ع، إ، 1951م، ص 21)، إذ أن الإشعاع الذي كانت تعكسه قرطبة عاصمة بلاد الأندلس على المسيحية الغربية لا يمارى فيه، وإذا استثنينا بيزنطة فلن تجد في أوروبا مدينة تسامها في جمال أبنيتها أو في حياتها الرخية المترفة، أو فيما تزخر به من أنواع العلوم والفنون والأدب (بروفنسال، ل، د. ت، ص 76)، وكان لانتقال التأثيرات المتبادلة بين الحضارتين الإسلامية والإسبانية طرق منها، الدور الذي لعبه (المستعربون)، وهم النصارى الإسبان الذين أقاموا في الأندلس بعد فتحها، وتعلموا اللغة العربية والآداب الإسلامية إلى جانب لغتهم الأم، كما قلدوا العرب في أسلوب معيشتهم فاستعربوا لساناً وأسلوب حياة، وقد وصل بعض هؤلاء المستعربين إلى مناصب عليا في الدولة الإسلامية في الأندلس (سالم، ع، 1985، ص24)، وكان الأمر إلهام بالنسبة للأمراء الأمويين في الأندلس هو الحفاظ على المجتمع المسيحي المستعرب كرمز للسيادة السياسية والدينية، وكذلك الاستفادة من المستعربين في الحوار مع الدول المسيحية المجاورة (عبد الحليم، ر، م، 1985م، ص:415)، أما الطريق الآخر لنقل التأثيرات هم المورسيكيون (المدجنون)، وهم المسلمون الذين آثروا البقاء في بلادهم بعد سقوطها بيد النصارى، كان المدجنون يعيشون داخل المجتمعات المسيحية وكانوا جزءاً من النسيج الاجتماعي الإسباني، ولكن هذه الفئة من المجتمع الإسباني عانت كثيراً تارة على يد الإسبان النصارى الذين اضطهدوهم ووصل الأمر إلى حد الافناء، فتعرضوا لكل أنواع العذاب وصنوف الأذى فتنصر القليل منهم وهاجر آخرون وقتل آخرون، وتارة أخرى عانى المدجنون على يد المسلمين أنفسهم فقد كانوا موضع ازدراء وتجاهل عام من قبل المسلمين بسبب بقائهم بين الكفار، ووصل الأمر إلى حد أن صدرت الفتاوى تحرم بقائهم في دار النصارى

بالرغم مما تنطوي عليه الهجرة إلى دار الإسلام من مخاطر وتكاليف، وبرغم هذه المعاناة فقد مارس المدجنون دوراً كبيراً في نقل التأثيرات الحضارية إلى شعوب إسبانيا النصرانية طول الفترة التي قضاها في إسبانيا، أما العنصر الآخر الذي مارس دوراً في نقل التأثيرات هم (الأسرى) الذين كانوا يقعون في الأسر نتيجة الحروب بين المسلمين والنصارى وكانوا يمارسون حياتهم في المكان الجديد الذي أجبروا على العيش فيه وربما اعتنقوا دينه وتعلموا لغته (عبد الحليم، ر، م، 1985م، ص: 425)، أما العنصر الآخر فهم (اليهود) في إسبانيا والذين مارسوا مختلف المهن والحرف إذ عملوا في الخياطة والصباغة ونسخ الكتب وكذلك كان منهم صانعو فضة وأطباء، باختصار كان اليهودي يقوم بأي عمل حتى أن هناك بعض النساء يعملن نائحات في الجنائز المسيحية، لذلك استحوذوا على نسبة كبيرة من التجارة فاحتكروا تجارة النسيج والحجار الكريمة، كما اشتهروا بتجارة الرقيق وكانوا على استعداد للذهاب لأي مكان للحصول على الأرباح (كحيلة، ع، 1993م، ص 64)، وهؤلاء اليهود كان لهم دوراً كبيراً في نقل التأثيرات الحضارية نتيجة معرفتهم بعدة لغات فقاموا بنقل الكتب وترجمتها إلى اللاتينية (عبد الحليم، ر، م، 1985م، ص: 411)، إضافة إلى ممارستهم التجارة واختلاطهم بمختلف طبقات المجتمع وكذلك الطب الذي حذقوا به .

المبحث الثاني: مظاهر التأثيرات الحضارية

أولاً: مظاهر التأثيرات الحضارية في ميدان الحياة الاجتماعية:

إن التأثيرات الاجتماعية المتبادلة ما بين الحضارتين الإسلامية والمسيحية واضحة وفي نواحي عدة، وفي مقدمتها تأثيرات التسامح الديني بين المسلمين والنصارى في شبه الجزيرة الإيبيرية، إضافة إلى تأثيرات الزواج المختلط وعلاقات المصاهرة بين الفاتحين المسلمين وأهل البلاد من النصارى، كذلك التأثيرات المختلفة في مجال الثقافة والأخلاق والعادات والتقاليد والملبس والمأكل والمشرب وغيرها من التأثيرات الاجتماعية.

أقبل النصارى في إسبانيا على الحضارة الإسلامية بشغف كبير لينتفعوا بأحسن ما فيها (عبد الحليم، ر، م، 1985م، ص: 64)، ومما شجع هذا الاندفاع نحو الحضارة الإسلامية هو التسامح الديني الذي مارسه العرب تجاه مختلف الأديان الموجودة في البلاد المفتوحة الأمر الذي أحدث أثراً كبيراً في كسب ود الشعب الإسباني، إذ ارتبطت العناصر المحلية الساكنة في الأندلس بعقد ذمة فعرفوا بالمعاهدين، وهو عقد يربطهم بالدولة الحاكمة التي يعيشون

في إطارها، وترك المسلمون لهم حرية العبادة وحرية اختيار دينهم من غير اضطهاد لاعتناق دين الإسلام، بل تركوا لهم حرية اعتناق الإسلام أو دفع الجزية، فالحرية الدينية تظهر في انتشار الكنائس المسيحية وعدم المساس بها في كافة أنحاء المدن الأندلسية، وهذا ما أكدت عليه معاهدة الوالي عبد العزيز مع ملك تدمير والتي نصت: " ولا تحرق كنائسهم، ولا ينزع عن ملكه ما تعبد ونصح"، وقد سارت الدولة الأموية في الأندلس على هذا النهج إذ قام عبد الرحمن الداخل بإعادة بناء كنيسة القديس أجلع عند حرقها من قبل مغيث الرومي* لما التجأت إليها الحامية القوطية، وهي الكنيسة المعروفة بكنيسة الأسرى (مؤلف مجهول، 1981، ص 56)، ويؤكد المؤرخ دوزي على التسامح الديني تجاه النصارى بقوله: " أن الأمويين أبقوا على الكنائس التي كانت بإسبانيا قبل الفتح ... وأنهم لم يعترضوا على توسيع القديم منها أو ببناء كنائس جديدة" (دوزي، 1963م، ص 299)، والأكثر من ذلك أن المسلمين سمحوا بإقامة الكنائس حتى في المدن التي أسسوها مثل مدينة مجريط (مدريد) والتي أسسها محمد بن عبد الرحمن سنة (252هـ/866م) وبها أقام النصارى كنيسهم والتي عرفت بعذراء المدينة (كحيلة، ع، 1993م، ص 143)، وكان من أثر هذا التسامح أن اعترف المسيحيون صراحة بأنهم يؤثرون حكم العرب على حكم القوط الغربيين أو الفرنج، وبقيت الكنائس عامرة في مختلف أجزاء إسبانيا وأديرتها واحتفظت برئيسها المسؤول وجايبها وقاضيها الذي يطبق في محكمته تحت اشراف الإدارة الأموية القانون القوطي القديم. (لين، ب، د.ت، ص 46)

لم يقتصر التأثير الحضاري الإسلامي على إسبانيا النصرانية في المجال المادي فحسب بل أثر في أخلاق الناس، فهم الذين علموا الشعوب النصرانية التسامح، إذ لم يقف الأمر على السماح ببناء الكنائس وتعميرها بل تعدى الأمر بالسماح لدعاة النصرانية بنشر دينهم،

* - مغيث الرومي: فاتح قرطبة، هو ليس برومي على الحقيقة، وتصحيح نسبه أنه: مغيث بن الحارث ابن الحويرث بن جبلة بن الأهم الغساني، سبي من الروم بالمشرق وهو صغير، فأدبه عبد الملك بن مروان مع ولده الوليد، وأنجب في الولادة وصار منه (بنو مغيث) الذين نجبوا في قرطبة وسادوا وعظم بيتهم وتفرعت دوحتهم ونشأ مغيث بدمشق فأفصح بالعربية، ووجهه عبد الملك إلى الأندلس، غازيا مع طارق بن زياد، فقدمه طارق لفتح قرطبة، في سبعمئة فارس فافتتحها (سنة 92 هـ) وأسر ملكها. ووقع خلاف بينه وبين طارق، وبينه وبين موسى بن نصير، فرحل معهما إلى دمشق (سنة 96 هـ) وخدم سليمان بن عبد الملك، ثم عاد إلى الأندلس ولم يذكر مترجموه شيئا عنه بعد ذلك، إلا أن نسله كان في قرطبة، وقد يكون سكنها وتوفي بها نحو سنة (100 هـ). ينظر: الزركلي الاعلام، ج 7، ص 276.

بل بلغ الحال ببعض المتشددين منهم أنهم كانوا يقفون على أبواب المساجد يقنعون المسلمين بدخول دينهم (عبد الحلیم، ر، م، 1985م، ص: 4)، كما بقي النصارى يدقون نواقيسهم ويظهرون صلبانهم ويحتفظون بزيمهم الرسمي، وسمح لأساقفتهم بعقد مؤتمراتهم الدينية كمؤتمر إشبيلية النصراني الذي عقد سنة (166هـ، 782م) ومؤتمر قرطبة النصراني عام (238هـ، 52م)، وتعد الكنائس التي بناها النصارى في مختلف أرجاء إسبانيا إبان الفتح الإسلامي لها دليل على احترام العرب لمعتقدات الأمم التي خضعت لهم (لوبون، غ، 1956م، ص 276)، ونتيجة لهذا التسامح إزاء المسيحيين الذين تأثروا بأخلاق العرب فنشأت علاقات شعبية بينهما، إذ كانت الكنائس تفتح أبوابها للمارة من المسلمين وتطعمهم الطعام والشراب، ولم يتحرج بعض المسلمين من المبيت فيها (ابن بسام، 1981م، ج 2، ص 311)، كما كان النصارى يزورون قبور أولياء المسلمين لنيل البركة، بل أنهم قلدوا المسلمين في الامتناع عن أكل لحم الخنزير كذلك ختنوا أطفالهم (عبد الحلیم، ر، م، 1985م، ص: 432)، كذلك من مظاهر التأثير الاجتماعي هو تأثير المسلمين بتغيير طبيعة الإسبان الهمجية المخربة (المراكشي، 1983، ج 2، ص 16)، فتخلق الإسبان بأخلاق العرب ومنها الكرم ورعاية الضعفاء، إضافة إلى اتقانهم فن الفروسية العربية، إذ لا ريب أن قواعد الفروسية ومن أهمها الصلاح والكرامة ورقة الشمائل والقريحة الشعرية والفصاحة والقوة أدت إلى صلاح طبائع النصارى أكثر من جميع التعاليم الدينية (لوبون، غ، 1956م، ص 278)، كما قلد الإسبان العرب بطريقة لبسهم وأزيائهم وتعتبر الأزياء والألبسة مقياساً للمستوى الذي بلغته الحضارة المادية من ازدهار وتقدم أو تدهور وانحطاط عبر حقب التاريخ المختلفة، وأهم ما يميز الملابس هو ارتداء العمامة العربية خاصة في غرب الأندلس، كذلك دخلت الأزياء الإسلامية إلى قصور أمراء الشمال الإسبان، وكانت سفارات الممالك النصرانية تعود محملة بأفخر الملابس والتحف العربية، وكانت نساء البلاط المسيحي يتلفن عليها ويعتبرنها موضحة العصر (بروفنسال، ل، د. ت، ص 85)، بل وصل التأثير إلى أصناف الطعام إذ انتقلت إلى الأندلس الأكلات الشرقية المختلفة، كما انتقلت إلى المطبخ الإسباني الشمالي الكثير من الأكلات الأندلسية ونتيجة المجاورة بين المسلمين والنصارى فقد انتقلت عادة الشرب إلى العرب والاستغراق فيها (عبد الحلیم، ر، م، 1985م، ص: 439)، ومن مظاهر التأثير الأخرى هو مشاركة كل منهما في مناسبات الطرف الآخر، إذ شارك

الأندلسيون النصراري في أعيادهم مثل عيد السيد المسيح، ورأس السنة الميلادية، وعيد العنصرة أو عيد سان إخوان*، وتذكر الروايات أن المسلمين كانوا يبتاعون الفواكه والحلوى في هذه المناسبات (لوبون، غ، 1956م، ص 107)، كذلك شارك النصراري المسلمين في الأندلس احتفالهم في المولد النبوي الشريف وغيره من أعياد المسلمين. (كحيلة، ع، 1993م، ص 75)

ثانياً: مظاهر التأثيرات الحضارية في ميدان الحياة الاقتصادية:

تبعث حركة الفتح الإسلامي للأندلس فترة من الركود الاقتصادي إذ توقف الصناع عن الإنتاج نتيجة طبيعة الغزو، كذلك أحدث هذا الفتح هزة في المجال الاقتصادي بسبب الغنائم الهائلة التي حصل عليها المسلمون في المدن المفتوحة من تحف وروائع، وكان عهد الولاة عهد اضطراب وعدم استقرار من الوجهتين السياسية والاقتصادية، باعتباره فترة انتقال من الحكم القوطي إلى الحكم الإسلامي، وما أن استقر الإسلام في إسبانيا بتأسيس الدولة الأموية، حتى أزهى الاقتصاد الأندلسي من جديد، ونمت الفنون مع نمو المجتمع وترعرعت (سالم، ع، 1985، ص 259)، وقد استفاد العرب من خبرات السكان المحليين بالإضافة للخبرات التي حملوها معهم إلى شبه الجزيرة الإيبيرية في قيام صناعات مختلفة، إذ كانت صناعة الحرير من الصناعات المهمة في الأندلس، فقد قيل ان النساجين بلغوا في قرطبة وحدها مائة وثلاثين ألفاً، كما اشتهرت الأندلس بصناعة الورق ومنها انتقلت صناعة الورق إلى أوروبا، ونقل العرب زراعة أشجار الزيتون وزرعت مساحات شاسعة منه في إقليم الشرق إلى الغرب من مدينة إشبيلية مستفيدين من تربتها الحمراء الملائمة والمناخ الجيد، مما دفع أهل الأندلس عامة إلى الانصراف لصناعة الصابون القائمة على زيت الزيتون (الحميري، أ، 1980، ص 59)، كذلك استغل الأندلسيون خشب الغابات في الصناعات

* - عيد العنصرة "ANSARA" هو عيد سان أخوان "SANJUAN" وهو العيد الذي تحتفل به اسبانيا يوم 24 يونيو من كل عام، وهو ما يعرف بالمشرق باسم "المهرجان" وهو بداية دخول فصل الشتاء، وفي هذا اليوم يقوم المحتفلون فيه بالسباق على الخيل، وأما النساء فيقمن بإخراج ثيابهن للندا باللليل، كما يقمن برش بيوتهن في ذلك اليوم، ويتركن العمل، ويغتسلن بالماء، وهذا اليوم يوافق ميلاد النبي يحيى بن زكريا على نبينا وعليهما الصلاة والسلام، وقد اشتهر عيد المهرجان بالنار التي يتم إشعالها في الأحياء بحيث يجتمع صبيان كل حي حول نارهم ويتبارون في القفز فوقها، وقد جاء في أمثالهم: "الكبش المصوّف ما يكفز العنصره" و"كفزها بحل عنصر". ينظر: الخلف، سالم بن عبد الله، نظم حكم الأمويين ورسومهم في الأندلس، ص 296.

الخشبية المتنوعة، ومن روائع التحف الخشبية منبر المسجد الجامع في قرطبة ومقصورته، ومنبر مسجد الزهراء، ومنبر جامع اشبيلية ومقصورته، وأسقف قاعات قصر الحمراء، ودور غرناطة وأبنيتها العامة، وكلها أسقف على شكل هرم ناقص مزينة بالزخارف الهندسية الرائعة الملونة (سالم، ع، 1985، ص 261)، كذلك تفنن الأندلسيون في صناعة السفن بكل أنواعها السفري والتجاري والحربي، ومع تقدم الصناعة في بلاد الأندلس تمكنوا من إنتاج الزجاج المعروف بالضرابي الصواني والزجاج الشفاف. (بشتاوي، ع، 2000، ص 75)

أما ما يتعلق بالزراعة فإن وصول المسلمين إلى شبه الجزيرة الإيبيرية يعتبر أكبر تطور زراعي عرفته هذه البقعة، بعدما آلت إليه من تخلف وفساد أواخر حكم القوط الغربيين، وقد ساعد تنظيم الري على زراعة محاصيل قادمة من الشرق كالكرمة والزيتون والبرتقال والأرز وقصب السكر والموز وغيرها من المحاصيل الشرقية والتي تعتبر الأفضل في العالم (دوزي، 1963م، ص 27)، لقد كانت الأندلس بالنسبة لسكان المناطق الإسبانية الشمالية قطعة من الجنة، ولم يطل الزمن حتى تحول هذا الشعور إلى الطمع والنهب، وأدى إلى سياسة عدوانية لتحقيق مكاسب اقتصادية في الأندلس، فكان احتلال الأندلس واستثماره فيما بعد الغاية المعلنة في صفوف الطبقات العليا من المجتمع الإسباني النصراني.

ومن مظاهر التأثيرات بين المسلمين ونصارى إسبانيا هو براعتهم في صناعة التماثيل المعدنية التي كانت تزين قصور مدينة الزهراء، ويذكر المقرئ (المقرئ، ش، 1418هـ/1997م، ص 568) أن الخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر نصب الحوض الصغير الأخضر المنقوش بتماثيل الإنسان والذي جلبه أحمد اليوناني وربيع الأسقف من القسطنطينية في مجلسه الشرقي المعروف بالمؤنس، وجعل عليه إثني عشر تمثالاً من الذهب الأحمر، مرصعة بالدرر النفيس الغالي مما عمل بدار الصناعة بقرطبة وهي صورة أسد بجانبه غزال، إلى جانبه تمساح، وفيما يقابله ثعبان وعقاب وفيل، وفي المجنبتين حمامة وشاهين وطاووس ودجاجة وديك ونسر، كل ذلك من ذهب مرصع بالجواهر النفيس، ويخرج الماء من أفواهها.

أما فيما يتعلق بالتجارة فقد ساهم وجود فائض في المنتوجات الزراعية والصناعية في الأندلس إلى قيام تجارة نشطة مع الممالك النصرانية، وكان الميزان التجاري لصالح الأندلس في أغلب الأحيان (مورينو، م، ج، د.ت، ص 410)، ولعبت الأندلس كمصدر ومستورد من الممالك الإسبانية الشمالية، فشملت المنسوجات والحلي والملابس والمصنوعات اليدوية

وغيرها، وكانت أعظم تجارة بين الأندلس وإسبانيا هي تجارة الرقيق، وقد تخصص فيها التجار اليهود الذين يقومون بجلب هذا النوع من التجارة من الممالك الإسبانية النصرانية، ومن سبي الفرنجة إلى قرطبة وغيرها من المدن الرئيسية (عبد الحليم، ر، م، 1985م، ص: 475).

ثالثاً: مظاهر التأثيرات الحضارية في ميدان الحياة الثقافية والعلمية:

عبر تتبع الحياة الثقافية والعلمية في شبه الجزيرة الإيبيرية نجد أن عباً النهوض بالحضارة كان يقع على كاهل العرب، إذ اختلط البربر بطبقات السكان الوسطى والدنيا، في حين حافظ العرب على شرف ثقافتهم حتى بعد أن سيطر البربر على السلطة، وكما قدم العرب للإسبان حضارة متكاملة وفي جميع النواحي، كذلك قدموا لهم حضارة معنوية أدبية وعلمية، ولم يكن للإسبان إبان الفتح العربي أدب فيه شيء من الجمال، وكانوا يستخدمون في لسانهم رطانة لاتينية جافة ليس لها شيء من عذوبة الألفاظ العربية وجمال جرسها في الأذان، وكان نتيجة الزواج المختلط بين أفراد الفتح وأهل البلاد الأصليين أن نشأت ظاهرة انتشار إزدواجية اللغة بين الأندلسيين والتي تسمى عجمية أهل الأندلس أو اللطينة والتي يتكلمها الناس في حياتهم اليومية، ويتعجب ابن حزم (ابن حزم، أ، د.ت، ص 443) من أهل ديار بلي بشمال قرطبة أن نساءهن ورجالهم لا يحسنون الكلام باللطينة بل يتكلمون العربية فقط، مما نفهم منه أن اللغة اللطينة كانت منتشرة بين أهل الأندلس، وحتى سكان دار بلي يقول ابن حزم أن أفرادها (لا يحسنون) أي أنهم يعرفون هذه اللغة ولكنهم لا يجيدونها إجادة غيرهم في البلاد، وما أن جاء القرن الثالث الهجري، التاسع الميلادي حتى تعربت جميع بلاد الأندلس، وقد تجلّى ذلك بافتتان النصارى بكل ما هو شرقي في جميع مراحلهم، مما أيقظ العبقرية المسيحية وانتشر بينهم الترف العقلي وتطلعوا إلى المعرفة، وتعلقوا بالثقافة العربية لسموها على الثقافة اللاتينية التي كانت حينئذ جامدة وعلى وتيرة واحدة (مورينو، م، ج، د.ت، ص 8)، وكان شائعاً قدوم نصارى الشمال إلى قرطبة لتلقي العلم أو العمل فيها، وكان ذوي الطموح مهم وبعد تعلم العربية يعملون في إدارات الدولة المختلفة ويختلطون بأشراف العرب، وتجري عليهم أحكام الإسلام، ومن ظل منهم محتفظاً بدينه صار يُحجب نسائه كالمسلمين ويقتدي بهم وبأزيائهم وعاداتهم ورفاهيتهم ولهوهم (عبد الحليم، ر، م، 1985م، ص: 451)، أما عن حركة الترجمة فقد نشطت بفضل جهود الأساقفة والنبلاء،

وكانت أديرة المستعربين تؤلف مراكز للثقافة والنظام الاجتماعي، كما أنه لم يكن في استطاعة النصارى الحصول على مؤلفات الإغريق وفلاسفتهم إلا عن طريق المسلمين ونقولهم وترجمتهم لهذه الكتب. (بروفنسال، ل، د. ت، ص 78)

وفي مجال الإدارة تُظهر النصوص التاريخية أن طائفة النصارى كانت تتميز بالحركة والتحول بحكم مكونات مختلفة تعكس تموقعهم في السلطة الإسلامية، والتي استعانت بهم عبر وظيفة القومس الإدارية البحتة والتي أساسها جمع أموال أهل الذمة ودرجت عليها السلطة الإسلامية لاحقاً وأصبحت رتبة دينية كالمطران والأسقف (مؤنس، ح، 1959م، ص 460)، ومن الشخصيات الإدارية المهمة هو القومس بن انثيان بن بليانة، والذي كان مستخرج الخراج الموكل على أهل الذمة. وكان كاتب الأمير محمد بن عبد الرحمن الأموي مدة عامين لنبوغه وبلاغته وحسن سيرته وتدبيره وإجادته اللغة العربية والكتابة فيها. (ابن الفرضي، ع، 1988م، ص 156)

أما في مجال العلوم العقلية ومنها الطب فقد كان مرجع الطب في الأندلس كتاب الأبريشم ومعناه (المجموع)، وبرع الكثير من النصارى ومنهم يحيى ابن اسحق الذي استوزه الخليفة عبد الرحمن الناصر، وله مؤلفات كثيرة في الطب، وخالد بن يزيد بن رومان النصراني الذي اهتدى إلى استحضر الأدوية الشجرية وصنعها بيده (ابن أبي أصيبعة، 1981م، ج3، ص66)، ومنهم الطبيب جواد النصراني زمن عبد الرحمن الداخل وله دواء الراهب المستحضر من النباتات، وبرع الكثير من الأطباء في العهد الأموي في الأندلس منهم أبو عبد الله محمد بن عبدون القرطبي، والوزير أبو المطرف ابن شهيد مصنف الأدوية المفردة، والطبيب أبو القاسم الزهراوي في عهد الحكم المستنصر والذي اتخذه طبيباً خاصاً له، وابن جلجل طبيب هشام المؤيد والذي شرح أسماء الأدوية من كتاب ديسقوريدس (سالم، ع، 1985، ص 156)، كما برع أهل الأندلس في علم الكيمياء ومنهم أبو القاسم مسلمة بن أحمد المجريطي (من مدريد) المتوفي سنة (398هـ/1007م) شيخ الأندلس في علم الكيمياء في العهد الأموي، كما نبغ في الكيمياء العالم أبو القاسم عباس بن فرناس (ت:273هـ/887م) وهو أول من استنبط في الأندلس صناعة الزجاج من الحجارة. (سالم، ع، 1985، ص285).

خاتمة:

فتح العرب المسلمون بلاد الأندلس وكان دافعهم نشر الدين الإسلامي في أرجاء المعمورة ولم يكن همهم الغزو أو الاستيلاء على الغنائم بدليل معاملتهم لسكان البلاد المفتوحة بروح الإسلام السمحة، فلم يجبروهم على اعتناق الإسلام بل تركوا لهم حرية الاختيار، وكانت سياستهم نشر الإسلام باللين والإقناع حتى دخل أهل الأندلس النصراني في الإسلام أفواجا، بل إنهم تعلموا اللغة العربية والعادات العربية وامتزجوا مع العرب ودخلوا في علاقات مصاهرة كانت نتيجتها ولادة جيل جديد أطلق عليه اسم المولودين، وعمل الأمويين على تأسيس حضارة مزدهرة في بلاد الأندلس في كافة المجالات وتركوا بصماتهم إلى اليوم بما تزرخ به بلاد إسبانيا من قصور وحدائق ومساجد وحمامات في غاية الروعة والتفنن في إنشائها، بل أصبحت مراكز سياحية يقصدها سكان أوروبا حتى أصبحت إسبانيا بفضل العمارة الإسلامية في طليعة الدول السياحية، ولم يقتصر الأثر العربي في إسبانيا على العمارة بل في مختلف المجالات الثقافية والعلمية وماتزال مكتبات إسبانيا وأوروبا تزرخ بالمصنفات العربية في مختلف العلوم، وهذا يعكس ثقافة العرب وروحهم السمحة تجاه سكان البلاد المفتوحة عكس الثقافة الغربية التي مارست شتى أنواع التنكيل والقتل وابشع صنوف التعذيب والإفناء تجاه السكان العرب المسلمون بمجرد استيلائهم على بلاد الأندلس، وحتى النصراني الإسبان لم يسلموا من وطأة محاكم التفتيش التي كانت تعاقب بمجرد الشك والظن وتتهم من يحلو لها أن تهمه بالهرطقة واعتناق الإسلام ليلقي حتفه بأبشع صورة، وبالرغم من زوال حكم المسلمين في إسبانيا إلا أن أثرهم باقي حتى يومنا هذا تشهد عليه المعالم الأثرية وفنون العمارة وحتى المصادر الإسبانية .

**** - قائمة المصادر والمراجع:**

- ابن أبي أصيبعة (1981). *عيون الانباء في طبقات الأطباء*. بيروت: دار الثقافة.
- ابن الأبار، محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي (1985م). *الحلة السيرة*، تج: الدكتور حسين مؤنس، ط2، القاهرة: دار المعارف.
- ابن الأثير، عز الدين علي بن أبي الكرم (1979م) *الكامل في التاريخ*، تج: عمر عبد السلام تدمري، ط1، بيروت: دار الكتاب العربي.
- ابن الفرضي، عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصر الأزدي، أبو الوليد (1988م). *تاريخ علماء الأندلس*، تج: السيد عزت العطار الحسيني، ط2، القاهرة: مكتبة الخانجي.
- ابن القوطية، أبو بكر محمد بن عمر (1980م). *تاريخ افتتاح الأندلس*. تج: إبراهيم الابياري، بيروت: دار الكتاب اللبناني.
- ابن بسام، أبو الحسن علي بن بسام الشنتري (1981م). *الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة*، تج: إحسان عباس، ط1، ليبيا: الدار العربية للكتاب.
- ابن حزم الأندلسي، (د.ت). *جمهرة أنساب العرب*. تج: عبد السلام هارون، ط5، القاهرة: دار المعارف.
- ابن خلدون، عبد الرحمن (2006م). *العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر*، ط3، بيروت: دار الكتب العلمية.
- ابن عبد الحكم، عبد الرحمن بن عبد الله المصري (1994م). *فتوح إفريقيا والأندلس*. د.ط، القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية.
- ابن عذاري، المراكشي، أبو عبد الله محمد بن محمد (1983م). *البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب*، تج: ج. س. كولان، إ. ليفي بروفنسال، ط3، بيروت: دار الثقافة.
- أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن علي بن شاهنشاه بن أيوب، (د.ت). *المختصر في أخبار البشر*. ط1، القاهرة: المطبعة الحسينية المصرية.
- أبو عبيدة، طه عبد المقصود عبد الحميد (د.ت). *موجز عن الفتوحات الإسلامية*. القاهرة: دار النشر للجامعات.
- أرسلان، شكيب (1936). *الجلل السندسية في الأخبار والأثار الأندلسية*، ط1، فاس (المغرب): المكتبة التجارية الكبرى.
- أرسلان، شكيب (د.ت). *تاريخ غزوات العرب*. بيروت: دار الكتب العلمية.
- باشا، علي إسلام (1951). *إسبانيا والأندلس*. القاهرة: مطبعة القاهرة.
- بروفنسال، ليفي (د.ت). *حضارة العرب في الأندلس*. تر: ذوقان قرقوط، بيروت: دار مكتبة الحياة.
- بشتاوي، عادل سعيد (2000). *الأمة الأندلسية الشهيدة*. ط1، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- الجيمري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (1980م). *الروض المعطار في خبر الأقطار*. تج: إحسان عباس، ط2، بيروت: مؤسسة ناصر للثقافة.

- الخلف، سالم بن عبد الله (2003). *نظم حكم الأمويين ورسومهم في الأندلس*. ط1، المدينة المنورة: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية.
- دوزي (1963م). *تاريخ إسبانيا الإسلامية*. تر: حسن حبشي، مصر: المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر.
- ديورانت، ول وايرل (1958م). *قصة الحضارة*. تر: فؤاد اندراوس، بيروت: دار الجيل، بيروت.
- الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس (2002م). *الإعلام*، ط15، دار العلم بيروت: للملايين.
- سالم، عبد العزيز (1985م). *في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس*. الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة للنشر والتوزيع.
- السيوطي، جلال الدين (1964م)، *تاريخ الخلفاء*. تج: محمد محي الدين عبد الحميد، ط3، القاهرة: مطبعة المدني.
- الطبري، محمد أبو جعفر (1967م)، *تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك*، ط2، بيروت: دار التراث.
- العبادي، أحمد مختار (د.ت). *في تاريخ المغرب والأندلس*. الإسكندرية: مؤسسة الثقافة الجامعية.
- عبد الحليم، رجب محمد (1985م). *العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية في عصر بني أمية وملوك الطوائف*. القاهرة: دار الكتاب المصري.
- عنان، محمد عبد الله (2007م). *دولة الإسلام في الأندلس*. ط2، القاهرة: مكتبة الخانجي.
- القرطبي، ابن حيان، (1390 هـ). *المقتبس من أنباء الأندلس*. تج: الدكتور محمود علي مكي، القاهرة: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية.
- القلقشندي، أحمد بن علي (1987). *صبح الأعشى في صناعة الإنشاء*، تج: محمد حسين شمس الدين، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية.
- كحيلية، عبادة (1993). *تاريخ النصارى في الأندلس*، ط: الأولى، د.م.
- لوبون، غوستاف (1956). *حضارة العرب*، تر: عادل زعتر، ط: الثالثة، القاهرة: دار إحياء الكتب العربية.
- لين، بول، ستانلي (د.ت). *قصة العرب في إسبانيا*. تر: علي الجارم، القاهرة: دار المعارف المصرية.
- المسعودي، علي بن الحسين بن علي (1989). *مروج الذهب ومعادن الجوهر*، تج: الشيخ قاسم الشمامي الرفاعي، ط1، بيروت: دار العلم.
- المقرئ، شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني (1979). *نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب*، تج: إحسان عباس، ط:3، بيروت: دار صادر.
- مورينو، مانويل جوميث (د.ت). *الفن الإسلامي في إسبانيا*، د.م.
- مؤلف مجهول (1981). *أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمراءها*، تج: إبراهيم الأبياري، القاهرة: دار الكتاب المصري.

-
- مونتغمري، وات (1983). *في تاريخ إسبانيا الإسلامية*، تر: محمد رضا المصري. القاهرة: شركة المطبوعات للنشر.
 - مؤنس، حسين (1959م). *فجر الأندلس*. ط1، القاهرة: الشركة العربية للطباعة والنشر.
 - النويري، أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم (1423هـ/2002م). *نهاية الأرب في فنون الأدب*. ط1، القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية.